مراحل تطور الفكر التاريخي عند المسلمين

م. د. هيام مرزه نور
وزارة التربية/ معهد الفنون الجميلة

المقدمة ...

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على النبي محمد ﷺ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، واصحابه الغر الميامين .

وبعد ..

تكتسب المؤلفات التاريخية العامة اهميتها من مكانة المؤرخين ودورهم في حياة الأمة ومتابعتهم للأحداث والوقائع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وتسجيل ظواهرها وتطوراتها المختلفة ، وان دراسة تلك المؤلفات تفيد الباحث في معرفة تطور الكتابة التاريخية واساليبها المنهجية عبر المراحل المتعاقبة ابتداء من تطور الوعي لدى الإنسان بحاجته الى استلهام الحكمة والموعظة من الماضين فضلا عن حاجته الى تسخير التاريخ لخدمته .

عندها يكون التاريخ قد بدأ مع التدوين . اما المسلمون فقد عرفوا بعض المفاهيم ذات الدلالة التاريخية من خلال القرآن الكريم مثل عبارات اساطير الاولين ، قصص الاولين ، انباء الرسل ، انباء القرى ، ولقرون الاولى ، الصحف الاولى، التي عبرت بشكل واضح عن احداث الماضين .

وان الكتابات التاريخية العربية تحافظ على خاصيتها كونها ادبا وصفياً مفتوحاً ومتعدد الاهتمامات ، وغير محكوم باسنا داو تعديل او تجريح لمصادره ، ومع ذلك فنحن ننظر الى تلك الانجازات التاريخية التي حققها المؤرخون المسلمون بكل احترام وتقدير لانها الوعاء الذي حفظ لنا التاريخ ابتداءاً من القرون الاولى للإسلام وحتى وصولاً الى القرون المتأخرة والتي تمتاز الاخيرة بأهمية خاصة لأنها نتاج مرحلة جديدة في حياة الامة العربية الاسلامية لاسيما بعد تعرض بغداد للغزو الاجنبي وسقوط الخلافة العباسية سنة (656هـ) وماتلاه من تداعيات في الاوضاع السياسية والاجتماعية الأمر الذي ساعد على اضطلاع مدن عديدة كدمشق والقاهرة بنشاط فكري ثقافي كبير ، وفي ذلك اشارة واضحة على ديمومة حياة الأمة ، وحرص علمائها من

المؤرخين وغيرهم ، على الاستمرار في جهودهم العلمية ونتاجاتهم الفكرية رغم قوة الاحتلال وظروف التسلط الأجنبي والمتأمل لمؤلفات المؤرخين المسلمين الاوائل وحتى القرون المتأخرة للاسلام وطبيعة موضوعاتها والمدى الذي حققته أسس البحث التاريخي في ذلك الوقت ، يلمس بوضوح الجهد الكبير الذي بذله مؤلفوها والمنزلة العلمية الرفيعة والشهرة الواسعة التي نالها المؤلفون في تلك العصور. وان ماتقدم حفزنا على اختيار مراحل تطور الفكر التأريخي عند المسلمين ليكون موضوعي لهذا البحث .

ويشتمل نطاق البحث على مقدمة وتمهيد وثلاث فصول وخاتمة اضافة الى قائمة بالمصادر الأولية والمراجع الحديثة التي اعتمد عليها البحث فقد جاء الفصل الاول منها بخمسة قرون تناولت دراسة سريعة لأهم مؤلفات المؤرخين الاوائل في فترة الاسلام المبكرة متمثلة بمعرفة اخبار الامم الماضية والاجيال الغابرة والاحداث التي كانت في عهد الرسول ﷺ والخلفاء بعده ، وكانت الأساس الذي بنيت عليه المؤلفات التي الفت بعد ذلك والتي تعتبر اولى الكتب التاريخية وكان مركز النشاط في هذه الحركة التاريخية تتمثل في المدينة ومكة والبصرة ، ثم عالجت المصنفات التاريخية في القرن الثاني للهجرة واخبار الاحداث المهمة . وقد عرفت هذه الكتب بالاخبار وعرف مؤلفوها بالاخباريين الا ان معظم مؤلفاتهم لم نحصل عليها . ثم حدث في القرن الثالث الهجري تطور كبير في الكتابة التاريخية اذ ظهرت بداية التأليف التاريخي الواسع اي الجمع مابين مواد مستمدة من كتب السيرة والاخباريين والمراجع الأخرى وربطها بسياق تاريخي متصل ويعتبر هذا العصر من أنشط العصور الاسلامية في المجال العلمي نظراً لاكمال ترجمة الكتب الأجنبية والخروج منها بإطار عقلي اصيل . فمؤرخو هذا القرن قد وضعوا خطوط علم التاريخ عند العرب وركزوا الآراء والأفكار التاريخية ، وسلكوا سلوكا خاصا في كتاباتهم مما اظهر التنوع والاختلاف . اذن في هذه الفترة ظهر الوعي التاريخي الذي وجد صداه لدى المؤرخين ، اما القرنين الرابع والخامس فقد ظهر فريق من المؤرخين المسلمين الذين ابتعدوا في كتاباتهم عن طريقة الاسناد واكتفوا بإيراد الأخبار غير مسندة الى اصحابها واوجدوا منهجا مستقلا خاصا هو منهج الكتابة المرسلة . ثم اتخذوا الموضوعات اساساً في تنظيم مؤلفات المؤرخين في القرون الأخيرة متأثرين بما سبقهم ، لقد كان للواقع المؤلم الذي تعيشه الامة الاسلامية في هذه الفترة متمثلاً بالتسلل الأجنبي في مؤسسات الدولة أثره على عقلية المفكر والمؤرخ العربي فقد درس مؤرخو القرن السادس الهجري احداث التاريخ وحركته اعتمادا على السياسة المقترنة بالأخلاق ، وحذروا من مخاطر السقوط الحضاري عندما وقف

المؤرخ القرن السابع الهجري بحسه التاريخي العميق ونظرته العلمية باحثا عن شبكة الأسباب الكامنة وراء الأحداث التاريخية مستخدما المنهج النقدي المقارن ، ومؤكدا استخدام العقل في تعليل حوادث التاريخ وقد برز مؤرخين اكفاء استوعبوا حكمة التاريخ من خلال دراسة التواريخ الكلية للامم . فضلا عن اكمال ما بدأه المؤرخون السابقون ، ولم يكتفوا في كتاباتهم بالتقليد بل عمدوا على تلخيص كتب السابقين من المؤرخين المسلمين الى اراجيز ومنظومات ومختصرات ، وعلى خطاهم سار مؤرخو القرن التاسع الهجري مؤكدين على ضرورة التسلح بالثقافة الفلسفية التي تمكن المؤرخ في احكام حقائق التاريخ عقلا ونقلا ، كما ان هنالك مؤرخين لهم نظرات بالغة العمق والحكمة وآراء عامة في الغاية من الصدق والسداد وبواسطتهم دخل التاريخ الى ميدان العلم وهذا مابينته في الفصل الثاني .

حيث ان مهمة الفيلسوف التاريخي انه يقوم ببناء نظريات عامة في تفسير التاريخ استنادا الى الاحكام الجزئية لكل حادثة توصل اليها عالم التاريخ ، ولم اذكر من اهل الفلسفة الا ابا زيد عبد الرحمن بن خلدون وشمس الدين السخاوي من بين الكثير من الذين احبوا التاريخ والّفوا فيه ، وزادوا على ذلك فالتمسوا الحكمة منه .

وكان لابد لي من ان اورد اصحاب الفلسفة السابقين وخاصة في الربع الأخير من القرن الثالث والرابع الهجري فقد شهدت هذه الفترة انجازات تاريخية فلسفية تمثل ذروة الفكر العربي الإسلامي ومنهم الرازي والفارابي واخوان الصفا والطبري .

وان تطور منهج كتابة التاريخ عند العرب المسلمين لم يتوقف عند حد كتابة السير والمغازي والتراجم وتاريخ المدن والاقاليم ، بل تعداه الى اتجاهات المصنفات التاريخية التي يجمعها سرد الوقائع والاحداث .

لقد دعى الاسلام الى موضوعية واضحة في منهج البحث العلمي تتخذ العقل اساساً له ونهاه عن التقليد الاعمى ، الامر الذي دعا معالم الحضارة الاسلامية ان تغني التراث بكم هائل من العلوم ، وان آيات القرآن الكريم تؤكد نظرتها الجدية الى الماضي واعطاء امثلة التاريخ الغابر وعِظاته ، وذكر حوادث الأمم والشعوب السالفة ، للتأكيد على العبر الدينية والخلقية التي تنطوي عليها وهذا ما جاء به الفصل الثالث حيث اكد القرآن الكريم عدم الانخراط وراء الظنون والشكوك في كشف الحقائق دون دليل .

ونهي المنهج القرآني على نقل الأخبار دون وعي وتحقيق واظهار الزيف وتلك اسس علمية رصينة لموضوعية المنهج العلمي كما دعى القرآن الكريم الى تعاطي العلم ورفض الجهل في جميع مايتعلق بهذا الكون ، وبهذا وضع العرب المسلمين مناهج ثابتة

ساروا عليها بالرغم من المؤثرات والانتقادات والشبهات التي تنفي وجود منهج علمي لديهم ، وعلى هذا الاساس اتسمت علومهم وبحوثهم بالموضوعية والمنهجية .

واخيراً ختمت البحث باستنتاجات استخلصتها من البحث المقدم واسأل الله سبحانه ان ينتفع به ، فقد قرأت الكثير لأكتب القليل تيسيراً على القراء والله من وراء القصد وهو على كل خير مستعان .

تمهيـــــد :

لايمكن تحديد بداية الحس التاريخي عند العرب المسلمين بحقبة محددة من الزمن فلو تخطينا الحقب الموغلة بالقدم وآثارها في العراق ومصر واليمن وبلاد الشام، التي دلت بعض آثار تلك الحقب الواصلة إلينا على أبعد من الحس التاريخي بل وبعضها على المعرفة والتدوين التاريخي ، كما في قوائم أسماء بعض الملوك التي حكمت بابل وتحديد سنوات حكمهم ونتف من سير بعض ملوك الفراعنة في مصر ورسومهم وآثارهم ، التي كونت الجذور الأولى لتاريخ تلك الحقب ، والنقوش والكتابات لدول اليمن القديمة. وقد ظل قسم كبير منها تتناقله الألسن والمجالس ، في حين صاحبه الكثير من الأساطير والخرافات والمبالغات ثم تقادم عليها الزمن وطمست معالم تلك الدول والحضارات ولم يبق منها الا القليل .

ولكن الحس التاريخي لم يمت حتى وإن انتابه بعض الجمود والتحجر. فقد بقيت الرواية الشفهية تتناقل بها أيام العرب وأنسابهم وسير أبطالهم وكرمائهم وأحوال البلاد البعيدة عنهم عن طريق التجار وأحوال الحواضر وأخبار مواسم الحج وأخبار الشعراء.

وقد بقيت تلك الأخبار والمرويات حتى عصر التدوين ،فأودعت في مؤلفات كثيرة حفظتها وأوصلتها إلينا.

فلو تخطينا تلك الحقبة بإعتبار ان الحس التاريخي لم يتبلور بعد ليصبح معرفة تاريخية لها منهجها الخاص بها ,لوجدناها قد شكلت اصولاً لايمكن تجاهلها للتاريخ العربي قبل الإسلام.

وما أن بدأ عصر الرسالة الإسلامية حتى زاد اهتمام المسلمين بالقرآن الكريم وبالحديث النبوي الشريف لأنهما يمثلان الثقل الأكبر للعقيدة الإسلامية. فحفظوها عن ظهر قلب ، ولربما دونت بعض آثارها كمحاولات فردية هنا أو هناك. أضف إلى ذلك ماكان يصاحب نزول الآيات القرآنية وصدور الحديث الشريف من أحداث وقصص تشكل أسباب نزول الآية أو موارد صدور الحديث .

وهذه بدايات المعرفة التاريخية لأنهم كانوا يحفظونها مع الحديث والآية لتساعدهم على توضيح المراد منهما . ولم يكتفوا بذلك وإنما تناقلوا سيرة الرسول محمد (ﷺ)- **الفعلية والتقريرية**- كونهما يشكلان جانبين من جوانب التشريع .

وكان هم العرب والمسلمين الشاغل في النصف الأول من القرن الأول الهجري كان الدين الجديد وتعاليمه وآثاره في تغيير المجتمع العربي والإسلامي آنذاك. والفتوحات الإسلامية في المشرق والمغرب ، وبعض الفتن السياسية التي وقعت في سنواته المبكرة الأولى، ولربما شجعت هذه الأحداث بعض الشيء على التدوين لأن الاختلافات التي وقعت بين المسلمين الأوائل خلّفت بعض الوضع والتزوير على الحديث النبوي الشريف أو تفسير آيات القرآن الكريم وتوجيههما الوجهة التي يبغيها الواضع ذاته ،ومن باب أولى أن تؤثر هذه في تدوين الأحداث التاريخية فيصاحبها التزوير والتحوير.

وبالرغم مما أحدثته هذه الاختلافات في الفكر والعقيدة ولكنها شكلت عنصراً اساسياً من العناصر التي دعت المسلمين إلى البحث في ماروي من أحاديث وما دّون من السيرة النبوية والتي من البديهي ان يداخلها الكثير من الروايات الموضوعة والدخيلة. ففتحت بابا واسعا لحركة النقد الفكري والتحقيق العلمي والبحث والتمحيص للروايات. ومن البديهي لهذا التطور في المعرفة ان يتبلور وان يضع العاملون له قواعداً وأسساً وضوابط وتشكل بمجموعها بدايات أسس المنهج العلمي وضوابطه.

وقد ساعدت بعض العوامل على نشوء وبلورة الفكر التاريخي عند المسلمين ولعل من اهم تلك العوامل ، القرآن الكريم وما تناوله من احداث وفكر تاريخي والذي شكل قسما كبيرا لايستهان به من آياته الكريمة[1]. اضف إلى ذلك الحاجة في البحث عن رجال الحديث النبوي الشريف ونقلته للوقوف على دقة مروياتهم.

ثم ان التطورات التي احدثها الإسلام في المسيرة الحضارية في النظام السياسي و الاقتصادي والاجتماعي والإداري ، وحالات الاستقرار والقلق التي مرت على مسرح الحياة الإسلامية. وما احدثه الصراع الطبقي والديني والقومي على المجتمع العربي والإسلامي ونشوء حواضر ومدن و ازدهارها والمفاخرة بينها[2]، كل ذلك دفع بالفكر الإسلامي للحركة والتطور ونبذ الجمود والتحجر.

ومن اهم مصادر العرب التي اعتمدوها في تدوينهم عصور ما قبل الإسلام :

1- الشعر العربي وما تحويه قصائد شعراء قبل الإسلام من أغراض تاريخية ، او يحويه من أغراض اخرى تعبر عن واقع الحياة الاجتماعية عندهم.

2- قصص العرب وأيامهم ومفاخراتهم التي شغلت محافلهم ومجالسهم وبقيت على الألسن .

3- النقوش والكتابات ، كونها ناطق حي باقي من تلك العصور التي كتبت فيها، عربية كانت أو غير عربية[3].

4- الإشارات التاريخية في القرآن الكريم وما احتوته القصص القرآنية من أحداث .

ولأهمية التاريخ ودوره الكبير الذي لعبه في التشريعات والعقائد الإسلامية فقد بدأ منذ عهد مبكر التدوين التاريخي يأخذ شكلا مستقلا. ومن ثم بدأت بوادر النقد التاريخي تظهر حتى وضعوا له قواعده المستقلة والمشتقة في أكثرها من علم الحديث النبوي وقواعده . وقبل أن ينشأ ذلك النقد عند الغرب أو غيرهم ولذلك ((ينبغي التأكيد على أن تدوين التاريخ أو علم التاريخ كان من بين العلوم والمعارف الأصيلة التي ابتدعت في الحضارة العربية الإسلامية وقد استتبعت ظهور الدين الإسلامي ومنها علوم اللغة المختلفة والمعاجم وعلم التفسير والحديث وعلم الفقه وغيرها من العلوم والمعارف التي لم يقتبس الباحثون العرب عنها أشياء تستحق الذكر من الحضارات السابقة))[4]. فالتاريخ معرفة من المعارف العربية الإسلامية الأصيلة والمبدعة في التراث العلمي العربي الإسلامي.

الفصل الأول

القرن الأول الهجري :

بدأت الروايات الشفهية تأخذ شكلا مختلفا عما كانت عليه قبل الاسلام وأخبار العرب وقصصهم تم تداولها شفاهاً حتى العصر الأموي ، على الرغم من معرفتهم للكتابة منذ عهود موغلة في القدم[5].

ولا يستطيع احد من العرب الحديث عنها مالم يعود بها الى صاحبها الذي رواها له ، لئلا يتهم بالكذب الذي يلعب دورا مهما في العقيدة الاسلامية كونه يعد من كبائر الذنوب .

لقد بدأ التدوين التاريخي عند العرب المسلمين يتجه اجاها علميا عندما بدأ بتدوين احاديث وحياة الرسول ﷺ ، ومغازيه على الرغم من ان الرسول امر بعدم كتابة شيء غير القرآن الكريم[6]، وكان الدافع الى ذلك قيام البعض كاليهود والمشركين في الجزيرة العربية بتحريف آيات القرآن الكريم واحاديث الرسولﷺ، وتشويهها ، خدمة لمصالحهم ونسبة اقوال غير صحيحة اليه وهكذا كان العرب المسلمين قد وضعوا قواعد النقد التأريخي[7].

ولم تبدأ العناية بالتاريخ عند قدماء العرب الا منذ الربع الاخير من هذا القرن وان كانت بعضها مدونات بسيطة مثل كتاب (الملوك واخبار الماضيين) الذي كتبه عبيد بن شريه (ت70هـ) لمعاوية بن ابي سفيان (ت60 هـ) ويعد من اول المدونات في التاريخ العربي الاسلامي[8]. ومرويات عروة بن الزبير (ت94هـ) في السير والمغازي. وكتب وهب ابن منبه (ت110هـ) كتاب الملوك والتيجان[9]، وبما ان وفاته في بداية القرن الثاني الهجري لكن جل حياته امضاها في القرن الاول ، فضلا عن تدوين الحديث النبوي الشريف على يد عبدالله بن عمرو بن العاص(ت65هـ) في أيام الرسول الكريمﷺ[10]، حيث ان طبيعة علم التاريخ في اول الامر لم يكن يختلف عن طبيعة علم الحديث ، اللهم الا في هدف كل منهما ونوع الروايات التي يعنى بها.

ولعل لنا الحق ان نقول بان هذه المؤلفات كانت تتبع منهجا خاصا في الكتابة التاريخية الا وهو المنهج الموضوعي اي **(الكتابة في موضوع واحد)** والذي فتح الباب فيما بعد لمن جاء بعدهم للتدوين التاريخي .

القرن الثاني الهجري :

فقد بدأت الحياة السياسية تستقر وبالأخص في النصف الثاني منه بعد ان شغلت العرب المسلمين كثيراً والدولة العربية اكثر ، حتى بدأت الحياة الفكرية الاسلامية تتجه اتجاها اكثر عمقا وبدأت حلقات الدرس في الجوامع تأخذ منحى آخر.

فظهرت مدرسة المدينة والكوفة والبصرة وتطورت العلوم والمعارف ولعل من اخبار تلك الحياة الفكرية في هذا القرن قول (ابي علي الوشا) حول جامع الكوفة " ادركت في هذا الجامع تسعمائة شيخ كلٌ يقول حدثني جعفر بن محمد الصادق ت 148هـ"[11].

وهذا ينبو عن حياة فكرية علمية واسعة وتوجه كبيرين ,ومن البديهي ان لاتكون روايات اولئك الشيوخ عن الصادق فقط بالفقه والحديث والتفسير وغيرها وانما عن معرفة تاريخية واسعة ، اودع الكثير من تلك الروايات في الموسوعات التاريخية فيما بعد ناهيك عن اللغويين والنحويين الذين دونوا اخبار العرب واشعارهم ومجالسهم وقصصهم واقوالهم كي يستشهدوا بها على آرائهم اللغوية والنحوية والتي تشكل هي الأخرى ثقلا لايمكن تجاهله في اصول التاريخ العربي الاسلامي .

ومن مؤلفي هذا القرن المتخصصين بالتاريخ ، محمد بن شهاب الزهري (ت124هـ) الذي كتب كتابا في مغازي الرسولﷺ اودعه تلميذه محمد بن اسحاق بن يسار (ت151هـ) في كتابه السيرة النبوية في حين ان ابا مخنف الازردي الكوفي

(ت157هـ) الف اثنين وثلاثين كتابا تحمل عناوين (الردة) و(الفتوح) و(الشورى) و(صفين) و(مقتل الحسين)[12]. وقد سبقه موسى بن عقبة (ت141هـ) ومحمد بن السائب الكلبي (ت146هـ) بعدد من المؤلفات التاريخية. ولحماد بن ابي ليلى الكوفي (ت146هـ) ومعاصره خالد بن طليق بن محمد الخزاعي (ت166هـ) محاولات عديدة في حركة التدوين التأريخي . وكتب سيف بن عمر التميمي (ت180هـ) وابي يوسف القاضي (ت183هـ) وعمر بن مطرف البغدادي (ت193هـ) ويحيى بن ادم (ت 203هـ) عدد من المؤلفات الاخبارية والتاريخية[13] ، وتلك التي يستشف منها الفكر التاريخي عندهم.

القرن الثالث الهجري:

كانت المؤلفات التأريخية الإسلامية تشكل سلسلة متكاملة للتاريخ الاسلامي بدأت منذ باكورة فجر الاسلام وتوالت يكمل بعضها الآخر من جيل آخر .

وقد تبلور نهج الانساب والمغازي وشملت الوقائع الحربية التي خاضها العرب المسلمين بعد وفاة الرسولﷺ لنشر الاسلام فضلا عن الحروب الأهلية بين المسلمين انفسهم ، وتطورت دراسة السيرة الى دراسة التراجم والطبقات واهمها كتاب المغازي لمؤلفها محمد بن عمر الواقدي (ت207هـ) .

وقد شكلت مغازي الزهري (ت124هـ) القسم الاكبر منها ، ثم ان سيرة محمد بن اسحاق (ت151هـ) شكلت الاصل الاول لسيرة ابن هشام (ت218هـ) بعد نقدها وتهذيبها ومقارنتها مع غيرها .

وهنالك مجموعة من الرواد امثال هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت304هـ) ومحمد بن عمر الواقدي (ت207هـ) ، والهيثم بن عدي الطائي الكوفي (ت209هـ) وابي عبيد معمر بن المثنى (ت210هـ) ، ونصر بن مزاحم الكوفي (ت212هـ) وابي النعيم الفضل بن دكين الكوفي (ت219هـ) وابا الحسن علي بن محمد المدائني البصري (ت225هـ) والذي يعد من اعظم الاخباريين الكبار باعتماده على الاسناد واتباعه اسلوب المحدثين في نقد الروايات .

كما وصلت الينا مؤلفات كل من مصعب الزبيري (ت236هـ) واحمد بن الحارث الخراز البغدادي (ت258هـ) وعمر بن شبه النميري (ت262هـ) . وهنالك مؤلفات السيرة او التراجم دليل على تطور التدوين التاريخي والذي يحوي حياة الصحابة والتابعين والخلفاء ويعد هذا النوع من التدوين اغنى الفنون التاريخية عند العرب[14]. وخير مثال على ذلك كتاب "الطبقات الكبرى" لابن سعد (ت230هـ)

وكتاب(التاريخ الكبير والمتوسط والصغير) للامام البخاري (ت240هـ) وكتاب (التاريخ) لخليفة بن خياط البصري (ت240هـ) وكتاب (مصر) لعبد الرحمن بن عبدالله بن الحكم (ت257هـ) . وكتاب(تاريخ بغداد) لابن طيفور (280هـ) وكتاب (الاخبار الطوال) لابن حنيفة الدينوري(ت282هـ).

ويعتبر هذا المنهج بحق المنهج الارقى للكتابة التاريخية وقتذاك قياسا بمنهج المؤرخين غير العرب وغير المسلمين من الروم او الفرس او اليونان انما سببها يعود الى عدم استعمالهم الاسناد[15]، فاذا كتبوا التاريخ لرجال الحرب قصروا كلامهم على الفتوح والوقائع وقيادة الجيوش والاساطيل واصناف التغلبات، واذا كتبوا لحاشية الملك وصفوا لهم الدسائس وانواع المكائد والوشايات ، واذا كتبوا لرجال السياسة ذكروا فيه الوفود والمفاوضات والمؤتمرات والمعاهدات فلم يكن هم المؤرخين في الماضي تحري الحقائق وتمحيصها وانتقاء الحوادث العامة التي أثرت في التطور التاريخي ،"بل كانت غايتهم إرضاء الجماهير وكثيراً ماكانوا يفتشون عن الوقائع الغريبة المخالفة للعقل والعادة ويحشون تواريخهم بالاحكام الشخصية ويخالفون الحق وهم عارفون"[16] ، بينما لم يكن ذلك عند مؤرخي الاسلام الاوائل فقد كان اكثرهم _ان لم يكن كلهم_ بعيدين كل البعد عن السلطة السياسة .

ومن مميزات الحياة الفكرية في هذا القرن ان الترجمة عن كتب اليونان والفرس وغيرهم وتطور العلوم العقلية في المنطق والفلسفة وعلم الكلام القت بجرانها في حلقات العلم والدرس ومن البديهي للفكر التاريخي آنذاك ان يسلك مسلكا اكثر علمية وتطورا من الاول وادق منهجية في تدوينه .

فجاء ابن قتيبة (ت276هـ) في كتابيه (المعارف) و(الإمامة والسياسة) فكأنما خليطها من الاحداث التي تشكل وحدة الموضوع مع الاحداث التي ترافقها وتراجم الرجال الذين اشتركوا فيها[17].

وتمثلت اكثر عند البلاذري (ت279هـ) في (فتوح البلدان) عندما نقب المادة التاريخية بعد تمحيصها ونقدها ، اما كتابه **(انساب الاشراف)** فهو كتاب علم للتاريخ العربي الاسلامي في اطار الانساب وهو يمثل مزيجا فذا من المنهج والمادة ومنهجه يجمع بين اساليب كتابه الطبقات كتب الاخبار وكتب الانساب وهو بذلك يعبر بقوة عن النظرة الاجتماعية لدى الاستقراطية العربية[18].

ولعل من مميزات المناهج التاريخية في هذا العصر احتوائها على سلسلة السند والتي كانت متعبة من قبل المؤرخين العرب وكان لهذا المنهج الفضل في وصول ادق المعلومات التاريخية عن العصور الاسلامية.

وقد استمر المؤرخون العرب يتبعون هذا المنهج الى ان جاء اليعقوبي (ت284هـ) حيث ابتدع منهجا جديداً في الكتابة وهو منهج الكتابة المرسلة دون الاسناد[19] لأنه كان لايرى ضرورة لإعطاء الإنسانية وذلك لان النظرة الى الاسانيد التاريخية الهامة قد استقرت قبله والذي كان يتبعه رواة الحديث اولا ومن ثم اتبعه الاخباريون اخيراً[20]، وكان هذا القرن بحق هو اصل المدونات التاريخية الكبيرة وقد توجت بكتاب الطبري في بداية القرن الرابع الهجري .

القرن الرابع الهجري :

في بداية هذا القرن كانت المعارف التاريخية عند العرب المسلمين قد تحولت الى مدونات كبيرة ومنهج تاريخي متميز اودع فيه اصحابه المرويات المسندة بالرواية الى عصرها _ احيانا _ وقد فتح بها باب النقد والتحليل لعدم قناعتهم ببعضها او لحسم التاريخي بان بعض تلك المرويات لاتثبت امام النقد والتمحيص ، وقد شهد هذا القرن انجازات تاريخية فلسفية وعمرانية تمثل ذروة الفكر العربي الاسلامي فمن المؤرخين الطبري (ت311هـ) والذي يعد من اكبر الرواد وفي تاريخه العام ثروة تاريخية لم يسبق لها احد في اعرق الامم آنذاك ولم يترك لمن جاء بعده الا ان يطلع على تاريخه فكانت للطبري نظرة الى كتابة التاريخية" متأثراً بدراسته وثقافته كمحدث وكفقيه ولذا فان منهجه من نقد الروايات يتجه الى الاسناد . وكان يرى لابد لمن يقرأ التاريخ ان ينقد الأحداث ويقومها ، ثم ينظمها بما يوافق الفعل الإنساني وحقيقة الأحداث لاستبعاد ماهو خيالي منها[21].

كما يرى ان غزارة التراث التاريخي وتلاحق الحوادث وقصر عمر الانسان ، كلها اسباب تجعل عدم تمكن الانسان من الاحاطة المطلقة بالتاريخ[22]. وقد جمع لنا ثروة تاريخية شكك هو نفسه بالبعض منها . وبشكه ذلك فتح لمن جاء بعده باب النقد التاريخي لمروياته واضعا لنا اللبنة الاولى للمنهج العلمي الحديث . ومن معاصريه المسعودي (ت345هـ) ومن كتبه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) الذي أكد فيه على تفسير الحوادث التاريخية وفهم الاسباب الكامنة وراء حركة التاريخ، وتوصل الى وحدة التاريخ وتواصله عبر الزمن حين قال:"ان التاريخ العام هو خلاصة تاريخ الانبياء والاديان والملوك والامبراطوريات والدول والعلوم والمعارف والحوادث

الاجتماعية"[23].وهناك الكثير من المصنفات التاريخية التي تناولت تاريخ الأقطار والوزراء امثال الجهشياري (ت332هـ) في كتابه(تاريخ الوزراء والكتاب) والهمداني (ت334هـ) في كتابه (الاكليل) والصولي (336هـ) في كتاب (اختيار الراضي والمقتفي بالله) وابن النجار (ت402هـ) في كتابه (تاريخ الكوفة) وغيرهم .

القرن الخامس الهجري ومابعده :

وفي هذا العصر اهتمت الكتابات التاريخية بميادين جديدة وموضوعات متعددة في مختلف الجوانب ، اما من جاء في هذا القرن صاحب كتاب (تجارب الامم وتعاقب الهمم) لمسكويه ابو علي احمد بن محمد (ت421هـ) والمؤرخ صاحب المنهج العلمي في دراسة التاريخ ابو الريحان البيروني (ت440هـ) والذي يعتمد اساساً للتأمل العقلي والتجربة في سبيل الوقوف على حقيقة الاحداث التأريخية التي لايمكن ادراكها الا بالصدق والشجاعة والامانة والضبط[24].

ومن المعاصرين له المؤرخ السياسي ابو الحسن الماوردي (ت450هـ) الذي ادرك اهمية العامل السياسي في حركة التاريخ بعد ان لاحظ التسلل الأجنبي الى مؤسسات الدولة مما خلق واقع مأساوياً أضرَّ كثيراً بالمجتمع العربي الاسلامي وكثر في هذا القرن كتب التراجم والطبقات والرجال والتي كانت " لاتقدم سجلاً للولاة والعمال وسياستهم فحسب، بل تقدم صورة واضحة صادقة عن حياة المجتمع بعناصره وطبقاته، بفقهائه وعلمائه ، بصناعهِ وزراعهِ ورعاته وتجاره ، والى غير ذلك من المعلومات التي تصور حياة الشعب وتمثل تاريخه غير المكتوب"[25]. ومن اشهرهم الخطيب البغدادي (ت461هـ) في كتابه الكبير (تاريخ بغداد) وتوالت على المنوال ذاته في القرن السادس الهجري وما بعده من كتب التاريخ بكل صنوفه .

واتجه الفكر التاريخي نحو ايجاد الحلول والسبل لإخراج الامة من ازمتها السياسية والاخلاقية ، فقد درس مؤرخو القرن السادس الهجري ، احداث التاريخ وحركته ، ففي كتابه (سراج الملوك) ادرك ابو بكر محمد الوليد الطرطوشي (ت520هـ) العلاقة السببية بين الظاهرة الاجتماعية والواقع السياسي وما يحتويه التاريخ من دوافع انسانية تستند الى القاعدة التي ترى ان العدل اساس كل مملكة[26].

كما زاد المؤرخ الكبير ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت597هـ) مسألة العِظة والعبرة في التاريخ موضحاً ذلك في كتابه (المنتظم في تاريخ الملوك والامم) والذي يعد بحق كتاباً في تاريخ العامة[27].

وفي القرن السابع الميلادي حذر المؤرخ الكبير ابن الأثير ، عز الدين ابو علي ابن احمد (ت630هـ) في مخاطر سقوط الحضارة ، عندما وقف بحسهِ التاريخي العميق ونظراتهِ العلمية باحثاً عن شبكة الأسباب الكامنة وراء الاحداث التاريخية مستخدما المنهج النقدي المقارن ، ومؤكدا على استخدام العقل في تعليل الاحداث التاريخية وقراءتها[28]. فهو يبين لنا اهمية علم التاريخ ومايحمله من فائدة ومعرفة وتجارب السابقين واخبارهم في كتابه (الكامل) . وجاء بعده ابن الدبيثي ، جمال الدين محمد بن سعيد (ت637هـ) في (تاريخ واسط الكبير) . وجاء بعده سبط ابن الجوزي (ت654هـ) في (مرآة الزمان) . والقفطي جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف (ت646هـ) في كتابه (اخبار العلماء باخبار الحكمة) وابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت681هـ) في كتابه (وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان) . في حين اهتم المؤرخ زكريا بن محمد ، القزويني (ت682هـ) بالتاريخ الطبيعي ومن كتبه (غرائب المخلوقات وعجائب الموجودات) .

كما برز مؤرخين اكفّاء استوعبوا حكمة التاريخ من خلال درس الانكفاء الحضاري بعد سقوط الدولة العباسية فقد حاول ابن الطقطقي (709هـ) دراسة التواريخ الكلية للأمم مستخدما منهجاً علمياً في كتابه الفخري (الادب السلطانية والدولة الاسلامية).

كما جاء مؤرخين متأثرين بما سبقهم امثال النويري ، شهاب الدين ابو العباس (ت733هـ) في كتابه (نهاية الإرب في فنون الأدب). وابن كثير الدمشقي (ت774هـ) في كتابه (البداية والنهاية في التاريخ) وهو على نسق الكامل لابن الاثير . كما اشار ابن خلدون ، ولي الدين ابو زيد عبد الرحمن (ت808هـ) في مقدمته فائدة علم التاريخ وفضله ، كما انه وضع الاسس العلمية في كتابة التاريخ (المقدمة) . كما اكد على الحاجة الى الاجتهاد والتجديد في مجال الكتابة التاريخية والعمل على وضع معايير تساعد المؤرخ على الوصول الى الحقائق التاريخية وتفهمها[29] .

ثم سادت الكتابة التأريخية في العصور المتأخرة الفاظاً اعجمية وعامية ومن هؤلاء المؤرخون ابن الفرات (ت907هـ) في كتابه (تاريخ الدول والملوك) والمؤرخ ابن اياس (ت930هـ) في كتابه (بدائع الزهور في وقائع الدهور).

وهكذا نرى مبلغ اهتمام مؤرخي العرب والاسلام بالتاريخ وحثهم عليه وايمانهم بقيمته وفضله ومعرفتهم بمكامن العبرة والموعظة منه .

الفصل الثاني

المعرفة الفلسفية للتاريخ :

ولما تقادم الزمن وتكاثرت المدونات التاريخية اختلفت النظرة الى الأحداث تبعاً لتغيير المعايير وتطور الافكار وازدادت اهداف التاريخ لترسم للمستقبل مسيرة افضل . ولعل من المتعارف عليه ان (ابن خلدون ت808هـ) كان اوسع الذين سبقوه نقداً وتحليلاً للتاريخ في (مقدمته) وقد اعدوه انه اول من فتح ابيات لتفلسف التاريخ فقد اشار الى ان "كثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وائمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً وسميناً ولم يعرضوها على اصولها ولا قاسوها باشباهها ولا سيروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط"[30]. فدعا بهذا الى المنهج العقلاني الاستدلالي المستعمل بالفلسفة لاستعماله مع المنهج الاسترادادي الوصفي المستخدم في التاريخ ليشكل الثاني موضوع البحث بينما يشكل الاول علله ومسبباته . ولما كان ابن خلدون مؤرخاً ايضاً فهو اكثر دقة واكثر عموماً من فلاسفة التاريخ الغربيين الذين اعتادوا ان يعتمدوا على المؤرخين (غيرهم) بسرد الاحداث .

وعلى خطى ابن خلدون سار المؤرخ شمس الدين بن محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت902هـ) في قراءته النقدية للتاريخ العربي الاسلامي ، موضحاً ان اختلاف الأحكام حول الحقيقة التاريخية الواحدة ادى الى اختلاف مناهج المؤرخين ومواقفهم الفكرية[31]. واكد ضرورة التسلح بالثقافة الفلسفية التي تمكن المؤرخ من احكام حقائق التاريخ عقلاً ونقلاً[32] ، لتكون هذه الحقائق في سياقها الصحيح عبره وذكرى ، فأشترط على المؤرخ اتقان الحديث والسيرة واكتشاف صحة الاسانيد والامتناع عن محاباة السلطة او السكوت عن مسائها ، والتحرر من العصبية المذهبية ، والتحلي بالموضوعية والعدالة والمرونة والتحيط، وعلى المؤرخ تقع مسؤولية اخلاقية ، لأن التاريخ عنده (نصيحة) وليس غيبة او تشهير او انتقاصاً من المؤرخ له ، بل هو اكتشاف الحقيقة وفضح المنحرفين والمزيفين والمتهاونين والمزورين والمرتشين والمسيئين للناس[33].

ان استخدام المنهج الفلسفي في دراسة التاريخ يدل على استخدام المنهج العقلي بدلاً من الاتجاه الغيبي في تفسير الظواهر والاحداث وكان لذلك صداه في حقل التاريخ، فأبتعد المؤرخون العرب عن تدوين المعجزات والخوارق في تفسير الحوادث ، وان مهمة فيلسوف التاريخ هي التي تضفي على التاريخ علميته ، حيث يقوم ببناء نظريات

عامة في تفسير التاريخ استناداً الى الاحكام الجزئية لكل حادثة توصل اليها عالم التاريخ ووضع اللمسات الأخيرة على النظريات الخاصة بتحليل وتفسير حركة التاريخ ومعرفة اسباب وعوامل نشوء الحضارات وتدهورها .

الفصل الثالث

المنهج العلمي عند العرب والمسلمين:

العرب قديما امة حضارة وعلم وتراث سبقت بها الامم الاخرى بمشوار ليس بالقليل . والصروح الآثارية تنبو عن حقائق تلك الحضارة واصالتها ولا تكاد تخلو ارضهم من تلك الصروح ومدى التأثر والتأثير لا يقدح في تلك الحضارة ، فالتلاقح الحضاري لا يحده مكان ولا توقفه عجلة الزمان ولاينبغي لتلك الحضارات بتلك العظمة أن تصل إلى ذلك الكيان مالم تكن مرسومه ضمن منهج مخطط وفق معايير وضوابط لها اسسها واهدفها ، وبتطبيقاتها أدت الى نتائجها التي لا تزال واضحة المعالم رغم كل ما انتابها من محاولات غمر وتزييف .

والأديان السماوية كانت حافزا قويا يدفع بتلك الحضارات الى الرقي والاصالة والدوام ، ومما لا شك فيه ان الاديان السماوية الثلاثة كان منبعها الاول ارض العرب . ولتلك الاديان بصورة عامة – ولغيرها من غير السماوية – مناهج حياتية تنظم خلالها حياة المجتمع اذ هي ترسم علائق الانسان في الارض وبالانسان وبالخلائق الأخرى. وقد ساروا وفق تلك المناهج تربطهم جذور الماضي باصالة الحاضر من اجل المستقبل. ولقد((كان جهل الباحثين او تعصبهم على العرب سبباً مهما في اغفال أهمية هذه الحضارة ، وفي عدها تقليدية ، مقتبسة من الفرس واليونان والهنود لكن البحث والتحري يثبتان بطلان هذا الرأي وفساد هذا الاتجاه ويؤيدان ان الحضارة العربية اصيلة في كثير من اصولها وفي نتاجها الخاص))[34] .

وبعدما نزل الاسلام ليثور في نفوس العرب ما خبا تسارعوا لبعث اصالتهم من جديد واضافوا اليها ابتكاراتهم المتأتية من المنهج الإسلامي للحياة وقد أُتهم العرب بعدم استخدامهم منهج علمي خاص بهم الا بعد ظهوره عند الغرب فذهب فرانتز روزنثال ودوتي وميلر الى عدم وجود منهج علمي عند العرب قديما[35] ونسب الدكتور كامل حسن البصير[36] الى الدكتور علي جواد الطاهر القول بإغفال دور العرب في استخدام منهج البحث العلمي بينما ارى ان الدكتور الطاهر على العكس من ذلك قد اثبت أن للعرب منهجا علميا في البحث في قوله:((لم يكن تاريخ العرب ليخلو من مادة للمنهج وحسبك ان تذكر اهل الحديث، ثم اهل التاريخ والأدب والتراجم والفلسفة ، فيما نصوا

عليه من قواعد او مما يمكن ان تستنبطه استنباطا وفيما بنـــو به كتبهم في الجمع والنقد او في التبويب على الجزء والباب والفصل وفيما سلكوه في مذاهبهم العقلية او النقلية))[37] ، والى ذلك ذهب الدكتور عثمان امين بينما تدارك دكتور احمد جاسم النجدي ذلك واعتبر بداية العصر العباسي مقدمات لرسم منهج في البحث العلمي عند العرب[38] بينما فون كريمر كان قد خطا نحو الحقيقة عندما قصر وجود منهج علمي عند العرب في الرواية والوصف[39]، ولكن الدكتور كامل حسن البصير تتبع خطى الحقيقة بدلائل يقينية من القرآن الكريم متوصلا الى:((ان منهج البحث العلمي قد تكاملت أسسه في التراث العربي واستوفى علامة مميزة للعقلية العربية من نزول القرآن الكريم، مما ينبغي ان يبعث هذا المنهج في أيامنا هذه ويمتد صلة وثقى بين الفكر العربي المعاصر وبين جذوره التاريخية العريقة دفعا للغزو الثقافي الأجنبي وتفتحا على الثقافة الانسانية بشخصية فكرية متكاملة ووعي تام في عملية الاخذ والعطاء بين الحضارات))[40] ، ولربما كان مقياس اولئك الذين زعموا بعدم وجود منهج علمي عند العرب او تأخره انهم قاسوا منهج البحث لذلك الزمان بمقياس اليوم ولكننا لو عدنا الى مناهج البحث في ذلك العصر الى الامم التي عاصرتهم لوجدنا العرب اكثرهم تقدما، فبالنسبة الى البحوث التاريخية وعلى الرغم من ان ((فهم الناس للتاريخ في ذلك العهد لم يكن على النحو الذي نفهمه عنه نحن في الزمن الحاضر . فقد كان التاريخ في ذلك الوقت تاريخ حوادث ووقائع ، انصرف الى اعمال الخلفاء والملوك والرجال الذين لهم اثر ظاهر في الحياة .اما تاريخ التدوين وكيفية تطور المعرفة وربط بعضها ببعض وارتباط بعض العلماء المتأخرين بالمتقدمين وما اوجده النوابغ من آراء واختراعات فلم يكن موضوعا مهما بالقياس الى تلك الايام الى ان ظهرت الحاجة اليه))[41].وبالرغم من ذلك كله فقد كانوا يستندون الى اساس ضبط الرواة والتحري عن مدى صحة الرواية بالتنقيب الميداني عن مكان الحدث واحوال اولئك الرواة وتلك أسس علمية رصينة لموضوعية المنهج العلمي عندهم ، وذلك لارتباط التاريخ عندهم بعلم الحديث النبوي والذي عليه مستند عقائدهم وتشريعاتهم بعد القرآن الكريم ، مع انه تساهلوا في البحوث التاريخية نوعا ما ،والذي يهمنا هنا هو وجود منهج علمي عام للبحث عند العرب والمسلمين والا لماذا((نادى الغزالي505هـ بوجود تجاوز المناهج التقليدية الاتباعية التي مستندها النهائي : الايمان والتسليم بالانقياد لمسلمات مشهورة واحكام مسبقة من غير حجة من منطق او دليل من عقل او برهان))[42] وذلك لوجود مناهج قبله وصفها بأنها تقليدية لحاجة زمانه الى التجديد وذلك لإزالة المؤثرات الجانبية من تلك المناهج ويمكننا

عد تلك المناهج التقليدية بمثابة أسس وقواعد نستطيع من خلالها البحث عن الموضوعية في المنهج كي نصل اليها، اذ لا يمكن لباحث اليوم ان ينقب عن احداث الماضي الا من خلال معايشته له ويتم له ذلك من العودة الى تلك الاصول واستقراءها واستقصاء الحقائق منها ومقارنة بعضها بالبعض الآخر متجنبا المؤثرات التي انحرفت بمنهجها ذاك عن الموضوعية فلولا تلك الاسس ما استطعنا ان نصل الى النتائج ولو كانت الحاجة في تلك العصور ملحة في الكشف والتنقيب كما هي اليوم لما تعداها المؤرخون والباحثون العرب آنذاك وإلا كيف نفسر المنهجية الموضوعية في الفقه عندهم عندما((يستخدم – الفقيه – النظر العقلي والمنطقي ويستعين بالتجارب من اجل الكشف عن الحقيقة ، وهو لا يعتقد بالخلاف حول الحقيقة ، بل يرى انها واحدة فيسعى في طلبها ، ويرفض الاقوال او المذاهب والنظريات المتباينة حولها ، لكونها قاصرة عن ادراكها ، محاولا في الوقت نفسه بيان سبب قصورها عن ادراك الحقيقة))[43]. وما مدرسة المعتزلة الفلسفية والكلامية إلا خير مثال على المنهج الفلسفي في البحث عند العرب فان فكرهم ونظرتهم في المنهج الموضوعي العقلاني لاكبر دليل على ابداع العرب في المنهج وسبقهم في هذا المضمار غيرهم الى البحث والاستقصاء ((ومحاولات الانتقال من الحقائق الفردية الى الحقائق العامة ، ومن المعرفة المبنية على حقائق متفرقة الى معرفة ارقى للارتباطات بينها، ومن هنا، كان المثل الاعلى للعلم هو تحقيق الترابط المنهجي للحقائق))[44].

ومن آثار الجاحظ(ابو عثمان عمر بن بحر255هـ/869م) نلحظ المنهج التجريبي في كتابه (الحيوان) ومن خلال عرضه لمباحث العلوم وتجاربها وحقائقها بحيث ان ذلك يقودنا الى ((ان حضارتنا قد ابدعت في المنهج العلمي التجريبي ما لم يبدعه اليونان فلقد وقفوا غالبا عند القياس ، بينما قاد الاهتمام بالتجريب عند العرب الى الاستقراء فكان القياس مرحلة تالية الى الإستقراء، وظيفتها التحقق من صدق الحقيقة المستخلصة من المشاهدة والتجربة والاستقراء ، صدقها على الأشياء والنظائر بواسطة تجريب جديد))[45]. وقد سبق الجاحظ بهذا المنهج (روجر بيكون1294م) بقرون وقد اعطى الخطوط العريضة لهذا المنهج وفي منهج الشك ايضاً فقد سبق الجاحظ (ديكارت 1650م) الذي نسب اليه هذا المنهج وقد سبقه الغزالي ايضاً (505هـ/1111م) الى ذلك[46] حتى ولو طور الغربيون هذه المناهج من بعد واعطوها تسميات وتفرعات فالفضل يعود لأصحاب الاصول الذين رسموا الخطوط ووضعوا الطرق المؤدية اليه. فلو نقبنا بآثار العلماء العرب لوجدناهم سائرين وفق مناهج علمية في البحث والتنقيب

تكاد تتقارب كثيرا من قواعد المناهج الحديثة والا كيف توصل جابر بن حيان وابن سينا والخوارزمي والرازي وابن الهيثم وابن رشد وابن النفيس وابن البيطار وغيرهم الى النتائج التي اعتمدها الغربيون واكملوا البحث فيها من حيث انتهى العلماء العرب ولو لا جهود اولئك الاعلام ونتائجهم لبدأ الغربيون من حيث بدا العرب وانتهوا الى حيث انتهى العرب ، وهذه الإشارة تغني عن القول بأن للمسلمين في حياتهم وعلومهم مناهج ثابتة ساروا عليها ، وإن إختلطت بعض الحقائق بالأوهام في بعضها أو إنتابها قبس من التحوير او الخلط فذلك من ديدن إختلاف العصر ومتطلبات ثقافته وتطور العلوم فيه ، أو من المؤثرات على المنهج التي قلما يستطيع باحث أن يتخلص منها. وأخيرا فإن للعرب والمسلمين مناهج علمية في بحوثها بدأت حيث بدأ القرآن يتنزل عليهم ومناهج حياتية قبل ذلك.

ومن التجني على الحقيقة التي يرفضها علم المنهج ذاته نفي المنهج العلمي عن العرب والمسلمين وهم مصدرها الأصيل ومنهم أخذ (بيكون)[47] وإليهم رجع وكل حلقات العلوم لا بد لها من سلاسل من البحوث والتجارب وبترابطها تصل الى نتائج مرضية ويبقى الطريق طويلا لمن جاء بعدهم فلقد((ادرك اجدادنا العرب الحاجه الى منهج علمي مدروس في البحث فادخلوا طريقة التجربة واسلوب الملاحظة في اعمالهم العلمية وبحوثهم واعتبروها الاساس المعتمد عليه وساروا على وسائل مستحدثة ومبتكرة في البحث العلمي ، ومن ذلك اساليب الاستقراء والملاحظة والتجربة والاستعانة باساليب القياس لغرض الوصول الى نتائج علمية))[48] ، فلا احد يستطيع ان يغفل دور التاريخ في تلك العلوم ، كونها احوج ماتكون للتاريخ من حاجة التاريخ اليها. وفي البحوث العلمية بشطريها الطبيعية والانسانية لابد من سوابق ولو شذرات او اشارات تلميحية يستشف منها الباحث خطوطها تسوقه الى صراط الحقائق. وبهذا يكون الباحث مدين بشكل او بآخر الى اصحاب تلك الشذرات او الى نتائجهم ، ان كانت صحيحة فنفعها واضح المعالم ، وان كانت خاطئة فالفضل يعود اليها للوصول الى الصحيح . اذ لولا الخطأ ما عرف الصحيح ولو السقم لم تعرف الصحة ولرب قائل يقول ان العرب اخذوا منهجهم من اليونان الذين سبقوهم الى الأسس المنطقية في البحث يقال لهم ان التلاقح الحضاري لايستطيع احدا ان يمنعه ولا ينفيه والتأثر والتأثير بين الحضارات موجود لايمكن انكاره لكن ما اضافه العرب الابتكار في الجدة والإضافة والأصالة في الإبداع والتطوير اذ لم يقتصر العرب بمناهجهم العلمية على المنهج اليوناني انما اضافوا عليه وحذفوا ما لم يتناسب مع طبيعة تفكيرهم وظروف حياتهم فهم ((يختلفون

عن اليونان, لانهم لم يقفوا عند حدود العلم النظري ,كما فعل اليونان ، بل تابعوا منهج البحث العلمي الى التطبيق ، وعلى هذا الاساس فقد اتسمت علومهم وبحوثهم بالموضوعية والمنهجية))[49]. واذا وافقنا بعضهم دفعا للتطويل والجدال حول التأثر والتأثير لايستطيعون انكار ما لعلم الحديث النبوي الشريف الذي يعد ((بحق اعظم ما انتج الفكر الاسلامي في اصالته وتشعب علومه وفنونه – واذا صح– ورُقي الشك الى اصالة بعض العلوم العربية الاسلامية فان من الصعوبة بمكان ان يشك في اصالة الحديث ، كما ان من غير الممكن القول بوجود تأثيرات خارجية ساهمت في تطوره ذلك لانه من العلوم العربية الاسلامية الصرفة التي جاء بها الاسلام وتطورت بتطور الحياة الاسلامية ومتطلباتها))[50] ليس المراد هنا منهج الحياة الاجتماعية التي رسمها الاسلام والتي قد تدخل ضمن المذهبية المسبقة للحياة بترابط نظمها وتنوعها في تفرعات الحاجات الاساسية للمجتمع ، وقد يكون العكس ، لان هذه المذهبية في الحياة لها اثر فعال احيانا في تحوير المنهج كونها من المؤثرات الخارجية على الفكر ،فان وضع النتائج المسبقة واعتبارها بديهيات مسلم بها تجعل الباحث يرفض النتائج التي تظهر له اثناء بحثه إن خالفت تلك المذهبية، وبذلك تكون النتائج اساس لذلك المنهج وتصبح الأسس نتائجاً ثم تكون الاهداف والغايات وفق وتيرة واحدة في كل بحوثه المتقاربة الموضوع ، ولا يكون هم الباحث فيها سوى محاولات لإزالة الشبهات والتشذيب العوالق من النتائج التي يؤمن بها ، قد تصل احيانا الى المغالطات عندما تكون العوالق المراد إزالتها هي الأسس او النتائج الحقيقية للموضوع ، ولا نذهب هنا الى نقد من اتخذ في الحياة المذهبية الاسلامية منهجا له او اساساً لمنهجه كوننا نرى ان من دواعي اهداف منهج الحياة العام ان يستند على اسس وضعها الذي له إلمام كامل بالماضي ومطلع على خفاياه ، عارف بالمستقبل متأكد من حناياه متخلص من كل غاية او هدف نفعي اي بصورة ادق منهج حياتي لا يحدده زمان ولا يحويه مكان ، عام شامل لكل جوانب الحياة مترابط بكل نظمه وقوانينه منبعث من النفس الإنسانية رادعاً لكل نوازع الشرور فيها وليس هذا مدار البحث هنا ولكي لا تختلط مناهج البحث بمذهبية الحياة كونه قد يكون فرعا من فروع المنهج او يندرج تحت معناه اللغوي العام –في الاقل– ولكن ما تعنيه هنا :

- هل عني الاسلام بالمنهجية الموضوعية بالبحث والتنقيب عن الحقيقة؟
- والى اي مدى؟ وبأية كيفية؟
- وما أسس تلك المنهجية؟ وما غاياتها؟ وكيف عرضها ؟ وهل اعطى نتائجاً؟

ومن خلال اصلية الثابتين – **القرآن والسنة** – فان فلسفة العقاب والثواب اللذين تبتني عليهما العبادات والمعاملات في الأديان السماوية يقع مصبهما على العقلاء من البشر لا على غيرهم من البهائم والعجماوات او على المجانين ,وضمن حدود العقل البشري ولا يكلفه بما لا يطيق . اما ما كان خارج حدود ادراكه فقد دعاه الى تفجير طاقات العقل بمنحه دلائل وطرق منطقية مأخوذة ضمن حدود ادراكه ، بالإشارة والتلميح حيناً وبالإسهاب والقصص حيناً آخر ، وترى ذلك أوضح وأجلى في الاسلام لأنه ((حقيقة حية تقليدية دون اي شك ، ليست جامدة او راكدة وانه لم ينتظر حدوث ثورة في الافكار او الحضارة الاوربية كي يبحث ويحدد ويتبين في كل لحظة مسالكه الخاصة . ولقد كان في الاسلام على الدوام مجالات فكرية جديدة))[51] ، فقد دعا الى موضوعية واضحة في منهج البحث العلمي تتخذ العقل اساسا لها ، فما جمّد الإسلام العقل البشري ولا دعاه الى التقوقع ضمن اطار ثابت يحدّ به الأفكار ويقفل ابواب العقل ونهاه عن التقليد الاعمى واعطاه سلطانا على دليل النقل لما ينتاب هذا الدليل من عوارض او مؤثرات قد يرفضها العقل ، وجعله دليلا لإثبات صحة النقل الأمر الذي دعا معالم الحضارة الاسلامية ان تغني التراث بكم هائل من العلوم وتفجير للطاقات العلمية وعلى كل الميادين ، فلقد((حاور العقل العربي الاسلامي مختلف الحضارات السابقة والمواكبة له واللاحقة به . والتاريخ ليس هو بالماضي بل هو حركة الحياة ذاتها، والتوقف عند الماضي وكأنه (قدس الاقداس) هو خروج على التاريخ ومن التاريخ ولم يولد العقل الاسلامي من فراغ ، بل من التاريخ، لذلك شارك في صنع التاريخ))[52]، ولو استقرأنا آيات القرآن الكريم وجدنا للتاريخ سهما كبيرا ، ان لم يكن السهم الاكبر فيها، فما هو بكتاب تاريخ ولا هو بحشو كلام دون علة او عبره، وانما هو تذكرة وصقل للعقل البشري وتثوير لطاقاته ، ودلائل له يستدل بها على حقائق الحاضر الذي يعيشه كي يرسم نهج المستقبل بما يكفل له سعادته.

وقد دعت ايات القرآن الكريم الى العلم والتعلم من اجل الوصول الى الحقائق ودعوته واضحة وجلية لا يحتاج الباحث الى كشفها حتى عد القرآن الكريم كونه ((كتاب علم وعمل لا كتاب فرض وتقدير ، ولا كتاب تعمية وتقليد فمثله كمثل المعلم يلقي الى تلامذته الكليات العلمية في اوجز بيان واقصر لفظ ويأمرهم بالعمل بها ثم ياخذ ما عملوه ثانيا ويحلله الى اوائل اجزائه من صحيح او فاسد فيتبين لهم موارد النقص او القصور))[53].

قال تعالى: ((**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**))[54] .

وقال جل وعلا:((**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**))[55].((**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**))[56] . ((**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَ.سَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**))[57].

وقد اعطى بهذه الآية الكريمة أفضل السبل لأسس الجدال والمقارنة والنقض والإبرام في البحث العلمي. ولم يدع الى العلم بمناهجه التقليدية دون البحث .والاستقصاء والتدبر والتفكر والتمحيص والمناقشات وكل ذلك وغيره يستند الى أساس العقل الحر المجرد عن النوازع والمؤثرات ((فقد استعمل القرآن في آياته الفاظاً تربو على العشرين في اكثر من موقع لكل من تلك الالفاظ ، كالظن ، والحسبان ، و الشعور، والذكر ، والعرفان ، والفهم ، والفقه ، والدراية ، واليقين ، والفكر ، والرأي ، والزعم ، والحفظ ، والحكمة ، والخبرة ، والشهادة ، والعقل ، ويلحق بها مثل القول ، والفتوى والبصيرة ونحو ذلك))[58] ، بين دعوى منه للتمسك بالطرق السليمة للوصول الى حقائق البحث العلمي وبين نهي عن الانخراط وراء الطرق التي يتبناها الشك او الموصلة الى الأوهام او التي تُبعد البحث وتشذّ به عن غايته المتوخاة .

فقد نهى عن الظن ان يكون اساساً لمنهج البحث كونه تصديق راجح لا يبلغ حد الجزم والقطع ولأنه((قول غير مستند الى برهان))[59] .

قال تعالى:((**وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ**))[60].

وقال تعالى:((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ..**))[61].

وقال جل وعلا: ((**وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**))[62].

وقد احتوت هذه الآيات:((تلقينات جليلة عامة ومستمرة المدى في تنديدها الشديد المتكرر بالذين يتبعون هوى النفس ويسيرون وراء الظن ، وخاصة بعد ان تبدو اعلام الحق والهدى ويستبين الحق من الباطل والهدى من الضلال فالحق والهدى يجب ان يكون غاية مطلب المرء وعليه ان يبذل جهده في الوصول اليهما واتباعهما ولا يجوز له ان يبني احكامه على الظنون او يصدر عن هوى النفس المنحرفة واغراضها ومتعها))[63]. ونهى عن اتباع الشك في الحقائق دون دليل واضح او برهان جلي .

قال تعالى:((**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**))[64].

وقال سبحانه :((**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**))[65].

وقال جل وعلا ((**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**))[66].

ودعا ايضاً الى عدم التسليم بالنتائج دون التقصي والتدبر والتفكر وعللها ومسبباتها ومغالطاتها .والتجرد من المؤثرات الخارجية التي تحور الحقيقة وتنقض احكام العقل حتى قيل:((لو تتبعت الكتاب الإلهي – **القرآن**– ثم تدبرت آياته وجدت ما لعله يزيد على ثلاثمائة آية تضمن دعوة الناس الى التفكر او التذكر او التعقل . ولم يأمر الله تعالى في كتابه ولا في آية واحدة ان يؤمنوا به او بشيء مما هو عنده او يسلكوا سبيلا على العمياء وهم لا يشعرون))[67].

بل على العكس من ذلك فقد نهى عن التقليد الأعمى واعتبار نتائج مناهج الغير بديهيات مسلم بها دون اعادة النظر فيها ، والتحقق من صحة تلك النتائج بقدر المستطاع حتى يصل الى درجة اليقين وبذلك قوله تعالى مستنكرا:

((**بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ**))[68].

وقوله تعالى: ((**إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (*) فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ**))[69].

وقال تعالى : ((**قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (*) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**))[70]

او قوله :((**كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى**))[71].

وبهذا نهى عن المنهج التقليدي كون الباطل لا يصير حقا بكثرة المتمسكين به. وجادلهم بدليل علمي ملموس تذعن اليه عقولهم وتطمئن اليه نفوسهم وترفض عقولهم ما كانوا عليه ووفق المنهج التجريبي فأمر ابراهيمعليه السلام ان يكسر اصنامهم ويضع فأسه على كبيرهم وعندما رأوا ذلك :

((**قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (*) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (*) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (*) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (*) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (*) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**))[72].

ولم يكن هذا من باب الكذب حيث صدر من ابراهيمعليه السلام . فلا يأمر بالكذب من يدعو الى الحقائق وانما جادلهم بدليل علمي مادي يرونه في مشاهداتهم اليومية

وينكرونه عقليا في موقع كهذا . فالذي لا يستطيع ان يدفع عن نفسه الضرر لا يستطيع ان يدفعه عن غيره.

وقد نهى المنهج القرآني عن تلقي الأخبار المنقولة على علاتها دون وعي وتحقق أو تدقيق في صحتها بالبحث عن صدق الناقل من عدمه فقال تعالى : ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**))[73] .

ولم يغفل القرآن الكريم بدعوته الى منهج البحث العلمي المؤثرات التي تحور المنهج وتشذّ به عن الموضوعية ودعا الى تجريد العقل من تلك المؤثرات كالظن والهوى والعاطفة او التبعية ونوازع الشرور في النفس الانسانية والتي تؤثر في الادراك العقلي الذي جبله الله على ((ادراك الحق والباطل في النظريات والخير والشر والمنافع والمضار في العمليات حيث خلقه الله سبحانه خلقة يدرك نفسه في اول وجوده ، ثم جهز بحواس ظاهرة يدرك بها ظواهر الاشياء ،وباخرى باطنة يدرك معاني روحيه بها ترتبط نفسه مع الاشياء الخارجه عنه ، كالارادة ، والحب ، والبغض ، والرجاء ، والخوف ، ثم يتصرف فيها بالترتيب والتفصيل والتخصيص والتعميم))[74]. والى هذا اشار القرآن الكريم في اكثر من موقع منها قوله تعالى : ((**إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى**))[75] . وقوله جلَّ وعلا :((**وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ**))[76] وقوله :((**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ**))[77].

ولم يكتف بذلك بل فتح باب التعاون والتآزر على الوصول الى الحقيقة ورد الأباطيل او اظهار الزيف ودعا الى الاجتماع واستفراغ الواسع برد الحجة بدليل علمي مقنع ونقض الحجة بالحجة والدليل بالدليل وذلك من قوله تعالى : ((**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**))[78] . ((**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**))[79]0

وهذا القول((يدل على أنه لابد في إثبات الدين من تقرير الدلائل والبراهين، وذلك لأنه تعالى أثبت بنبوة محمد ﷺ هذا الدليل وهذه الحجة ، ولولا أن الدين لايتم إلا بالدليل لم يكن في ذكره فائدة))[80]. ونهى عن البحث في امور لم يكن الباحث مطلعا عليها ولا له علم بها او يجادل بها دون دليل علمي مقنع فقال تعالى:((**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ**

لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا))[81]. **((قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ))**[82]. **((هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ))**[83]. **((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ))**[84]. **((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ))**[85].

ورفض السفسطة في الجدال بالقضايا المنطقية غير الصادقة أو الثرثرة في غير قصد وكشف المغالطات التي لا تستند الى برهان والتي هي فوق استطاعة القدرة البشرية او رفض الحقيقة العلمية الواضحة بدون دليل وإنما بالعناد والمكابرة.

فقال تعالى:**((وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا** (*) **أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا**(*) **أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا**(*) **أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا))**[86]. **((فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ))**[87] .

وفي هذه الآيات الكريمة: **((**يظهر بُعد جديد للمجادلة يجسده سلوك الكافرين في هذا الاساس من اسس منهج البحث ، فاذا هم مجادلون بالباطل فلا يتصفون بالجد العلمي والرزانه العقلية وانما يتخذون من الباطل والسخرية وسيلة لدحض الحق الذي لا يستطيعون منه تمكنا وردا **))**[88] ونادى بإظهار الحق وعدم كتمانه فقال تعالى : **((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ))**[89] . ونهاهم عن تحوير الحقيقة الى غيرها او الميل عنها عمدا مهما كانت الأسباب ومهما دعت الظروف**((الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ))**[90] .

((بإلقاء الشبهات وتعويج الدلائل المستقيمة لانه لا يقال في العاصي: يبغي عوجا، انما يقال ذلك فيمن يعرف كيفية الاستقامة وكيفية العوج بسبب القاء الشبهات وتقرير الضلالات**))**[91].

اما البحث في المستحيل فلم يهمله الاسلام وانما اشار الى عدم الخوض فيه كونه خارج حدود علم الانسان والبحث فيه ضرب من الخيال لا يصل بالباحث الى حقيقة علمية صادقة او قد يصل الى نتائج مشوشة بعيدة عن الواقع. قال تعالى:**((وَيَقُولُونَ**

مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (*) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ))[92] . **((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا))**[93] **((يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا))**[94].

وعالج الشك أو الظن في صحة النتائج بالإستعانة بمن هو أعلم منك وأعرف أو بذوي الإختصاص فقال تعالى:**((فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ))**[95].

وفي هذه دعوى صريحة للبحث العلمي في ازالة كل مواقع الشك وتكثير الدلائل ولا يمكن ان يكون المقصود بها ازالة شك الرسول ﷺ حتى وإن كان الخطاب موجه اليه((لان الرسول ﷺ لو كان شاكا في نبوة نفسه لكان شك غيره في نبوته اولى وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية))[96] ، وانما في الخطاب دعوى الى التثبت و((تكثير الدلائل وتقويمها مما يزيد في قوة اليقين وطمأنينة النفس وسكون الصدر))[97].

ومثل ذلك قوله تعالى **((وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ))**[98].

بينما نراه اجاب بالتجربة العملية والمشاهدة الحية في عدة مواضع رفضها التفكير العقلي وعدها من المستحيلات لضيق أفق تفكيره احيانا وحسب الظروف المكانية أو الزمانية لذلك التفكير **((قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ))**[99]. **((يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (*) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (*) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا))**[100]..**((قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا))**[101].

فأجاب على تلك التساؤلات بدليل قبله العقل والمنطق ثم نفذ ما اراد فصدق العقل وأزال الشك وأزاح الشبهات بعدم التصديق بتلك القضايا ، ومن هذا دعوى الى النتائج التي تظهر من خلال البحث العلمي لا يتوجب تركها لمجرد انها غير وارده او من الغرابة بشكل بحيث لايمكن عدها ممكنة في وقت البحث الا بعد التاكد من استحالتها او خطئها قبل الحكم عليها ..وهنا يمكن الابداع والجده في البحث العلمي . فلطالما قادت الصدف او غير الممكنات في وقت الى اكتشافات علمية في وقت اخر. فالقرآن

((يثبت للحوادث الطبيعية اسباباً ويصدق قانون العلية العامة كما يثبته ضرورة العقل وتعتمد عليه الابحاث العلمية والانظار الاستدلالية ، فان الإنسان مفطور على ان يعتقد لكل حادث مادي علة موجبة من غير تردد وارتياب . كذلك العلوم الطبيعية وساير الأبحاث العلمية تعلل الحوادث والأمور المربوطة بما تجده من امور اخرى صالحة للتعليل))[102]. ففي قوله تعالى : ((**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**))[103].

وهذا موقف صريح آخر باستعمال التجربة لإثبات حقيقة خارجة عن حدود الحواس الظاهرة ، ولم يكن المراد بها إبراهيمعليه السلام فهو رسول نبي لايحتاج إلى دليل حسي ظاهر وإنما ((سأل الرؤية دون البيان الإستدلالي ، فإن الأنبياء أرفع قدرا من أن يعتقد البعث ولاحجة له عليه ، والإعتقاد النظري من غير حجة عليه، أما إعتقاد تقليدي أو ناشيء عن إختلال فكري وشيء منها لاينطبق على إبراهيمعليه السلام))[104].

ودليلنا في هذه الآية: ان الله اجاب ابراهيمعليه السلام طلبه واعطاه دليلاً ملموساً ظاهراً، وورد ذكر ذلك في القرآن للاعتبار به وعدم الايمان المطلق دون دليل او حجة ودون التسليم لنتيجة من غير استدلال عقلي وذلك بالاستعانة بكل الطرق والوسائل الموصلة له .

ولكثر ما استعمل القرآن المقياس المنطقي الاستقرائي[105]على حقائقه وذلك بالتدرج من الصغريات لإثبات الكبرى . وبالتدرج من الملموس والظاهر الى المحسوس والباطن وذلك فيقوله تعالى : ((**أَلَمْيَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (*) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (*)فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (*) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى**))[106].

ومن الخاص انتقل الى العام في قوله تعالى:((**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ(*)ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ(*)ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ(*)ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ(*)ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**))[107].

تدرج بذلك كي يثبت حقيقة ميتافيزيقيه طرح القرآن اسئلته وافتراضاته عليها في منهجه العلمي كي يجيب عليها ويزيل الشك عنها بطرق منطقية معقولة ألا وهي عقيدة البعث والنشور بعد الموت والفناء فطرح اسئلته بالاستغراب فقال : ((**وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ**))[108]. ((**وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا**

عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا))[109]. **((أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ))**[110]. **((أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (*) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ))**[111].

وأجاب على تلك الأسئلة بدلائل عقلية وحسية وبراهين وحجج اذعن لها العقل البشري . فأجاب بقوله تعالى:**((وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُور))**[112]. **((قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (*) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (*) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ))**[113]. **((...فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا))**[114].

ولم يكتف بالقياس اسلوباً لإثبات نتائج البحث فاستعمل الاساس المنطقي الاستدلالي[115] ، في هذه القضية بالذات فأعطى الحكم العام ((النتيجة)) ثم انتقل الى القضايا الخاصة ليتدرج بها . فقال تعالى: **((أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (*) وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ))**[116]. وفي هذه القضية العامة والنتيجة المطلوبة واستدل عليها من مشاهدات حسية وصغريات خاصة .

((وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (*) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (*) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (*) سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (*) وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (*) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (*) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (*) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (*) وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (*) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (*) وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ (*) إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ))[117]، وكذلك في قوله تعالى:**((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (*) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))**[118].

وفي هذا سلك طريقا علميا لا يمكن انكاره ضمن ادلة وبراهين وحجج عقلية لاينبغي لجاهل عاقل ان يتصور انكارها بدون تفكر وتدبر ناهيك عن العالم العاقل بعد تفكر وتدبر . فقد خاطب العقول على مختلف مستويات ادراكها من مشاهدات حسية تعايشة دون تفكر بما يحيط بها وبعملها ، ثم دعاهم بعد ذلك الى تدبر سيرها والتفكر بها وبكنهها ، فقد قدم حججه وبراهينه ودلالاته عارضا اياها بمحتوى منتهيا الى نتيجة يتطلب منه من خلال تأملهم وتفكرهم بتلك البراهين والدلائل من اجل الوصول الى تلك النتيجة بموضوعية صادقة ، فقال تعالى : ((**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ** (*) **وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** (*) **وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**))[119].

وكل هذه الحجج بناها على مقدمات عقلية لا يتم التوصل اليها إلّا بالبحث العلمي والتنقيب الموضوعي والتفكر بها والتدبر بأسبابها وتنبيه الفطرة الانسانية الى النزوع الى العقل في البحث عن تلك العلل ، لعله يصل الى معلومها ((وهكذا فان العربي يجد نفسه بين يدي هذه الآيات الكريمات مدركا ان دينه القويم وكتاب هذا الدين العزيز يدعوه الى التفكر فيما عليه من شؤون دنياه وآخرته ويلزمه الى ان يدع الهوى والميل فيما يبحث فيه ويتدارسه مرشحا بذلك اساس منهج اصيل لما ينهض به عالما كان او متعلما))[120] ، ومثل هذه الإشارات واللمح التي اشار اليها القرآن الكريم الكثير في اياته وقد تكون دعوة بعضها ضمنا ولولا خشية الاطالة لأكثرت منها مقسما إياها على مناهج العلوم التي اشار اليها القرآن ففيه المنهج التاريخي وفلسفاته وعبره ، واحتوى على المنهج الفلسفي ومباحثه، في حين رسم للمنهج اللغوي أسسه وللمنهج البلاغي قواعده ، واما ما دعى اليه القرآن من اهداف لمنهج البحث العلمي فهو الإخلاص للعلم والحقيقة ليس إلا ، بعد ان نهاهم –كما مر– عن الحياد عنها والزيغ عن طرقها او تشويهها وان قيل ان الكثير من هذه الايات تدعو الى الجدال لا الى البحث يجاب عن ذلك بان تلك الجدالات الكلامية اودعت في مؤلفات العلماء الاعلام من العرب والمسلمين لتصبح اسسا ونظريات للبحث العلمي وما رسمت اسس العلوم إلّا من التدبر في الدراسات الاسلامية التي ثوّرها القرآن الكريم الذي يكون له ((اصطكاك مع جميع العلوم

والصناعات المتعلقة باطراف الحياة الانسانية ومن الواضح اللائح من خلال اياته النادبة الى التدبر والتفكر والتذكر والتعقل ، انه يحث حثا بالغا على تعاطي العلم ورفض الجهل في جميع ما يتعلق بالسماوات والارضيات والنبات والحيوان والانسان ، من اجزاء عالمنا وما وراءه من الملائكة والشياطين واللوح والقلم وغير ذلك ليكون الى معرفة الله سبحانه))[121] . وقد عرض ودون تلك الجدالات والمباهلات ويعد ذلك بمثابة المحتوى لمنهج البحث وبهذا يكون منهج البحث العلمي الذي دعا اليه الاسلام قد استنفذ عناصر المنهج الأربع واركانه.

وقد احتوت السنة النبوية من قول وفعل وتقرير أكثر من ذلك في البحث في العلم والتدبر وقد يثار هنا تساؤل اخر مفاده ان تلك الآيات القرانية السالفة الذكر لها اسباب لنزولها وخصوص في دعواتها حيث ان بعضها يخاطب اليهود او اهل الكتاب والبعض الآخر لمشركي قريش او لشخص بعينه او ان دعواتها تلك في البحث والنشور والمعاد او في اثبات وجود الله ويزيل هذا الابهام بكون القرآن كتاب نزل لعصره وعصر ما بعده وللناس كافه بل والى الابد فليس من الممكن ان يحده زمان ومكان الا ما كان خارجا بدليل او نسخ بدليل والعبرة من آياته بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

شبهات حول المنهج :

وما دام الأمر في المنهج الموضوعي رد واثبات ثم نقض وابرام وتمحيص وتحقيق وخطأ وصواب فلا بد ان يكون هناك معارض وموافق لما ورد ، وما دام المنهج والمنطق صنوان يكمل احداهما الآخر حيث يحمل المنطق الجانب النظري بينما يطبق المنهج تلك البديهيات او البراهين ، فلا بد ان تكون تلكم الانتقادات او الشبهات الموجهه الى المنطق والعقل شاملة وموجهه نحو المنهج منها على سبيل المثال لا الحصر: قول فرنسيس بيكن[122] بان:((النظام المنطقي الحالي يساعد على توكيد الاخطاء القائمة على الافكار الفجة اكثر مما يساعد على البحث عن الحقيقة وبذلك كان ضرره اكثر من نفعه)) بينما ادلى (ف.ك.ش.شيللر f.c.s.s.chiller) بقوله : ((لا شك ان من اهم العقبات التي تعترض طريقة التقدم العلمي ، ذلك التحليل الذي قدمه المنطق بطرق البحث العلمي . فهو لم يحاول وصف المناهج التي ادت فعلا الى تقدم العلوم أو استخلاص قواعد يمكن استخدامها في تنظيم هذا التقدم ، ولكنه استباح لنفسه ان يعيد تنظيم طريقة البحث الفعلية بما يتفق مقدما مع اتجاهاته الخاصة فقد استعاض عن نظام الكشف بنظام البرهان ... ليس من المبالغه ان نقول انه كلما ازداد اذعان العلماء للمنطق ، كان ذلك مؤديا الى الحط من القيمة العلمية لاستدلالهم . ولكن من

حسن حظ العالم ان عظماء رجال العلم ظلوا عادة في حالة جهل نافع بالتراث المنطقي))[123] ، اما ((وليفرتروتار)) فقد عرض بعض الآراء المثيرة ضد ذلك . ويرى ان العقل لم يساهم الا بجهد هزيل في تقدم المعرفة العملية وان ((فضل العقل في الكشف ، بالنسبة الى المنهج التجريبي لم يكن ضئيلا فحسب ، بل كثيرا ما سـدّ العقل الطريق في وجه التقدم العلمي بسبب المذاهب الباطلة المبنية عليه))[124] .

وقد شذت هذه الآراء عن الحقيقة وجانبت الصواب ، فإذا كان الأمر كما يقولون ان العقل سد طريق التقدم العلمي فبم عرفت العلوم وما السبيل الى تقدم هذه العلوم والمعارف العلمية وكيف سار المنهج التجريبي إن كان مجردا من العقل وما الذي دل عليه؟!. ولو سلمنا جدلا بقول– وليفردتروتار– ذاك ، فكيف توصل هو إلى ذلك؟.

بهذه الروح نادى الاسلام . ولهذا الطريق اشار فعندما جعل العلم منارا للعقل وسلما يرتقى اليه فقد وضع للمنهج اسساً بديهية للعلوم كافه . وعندما وضع أهداف تلك المناهج الإخلاص لله وحده في تحصيل العلم لا لأية غاية أخرى . وجعل ذلك غايته الوحيدة وهدفه الاول في كل العلوم . كان لا بد للحقائق المستندة على ذلك الأساس وفق تلك الغايات ان تظهر جلية . وعلى الباحث ان يعرضها وفق ما يراه وفي هذا تظهر الجدة والابتكار .. وبمجموع الباحثين تتبلور العلوم ويتـبين الغث من السمين والأصيل من الدخيل .

فمدلول ((البحث العلمي)) الاصطـلاحي ورد بخطوطه العامة في القرآن الكريم. اما لفظ المنهج الاصلاحي المراد هنا لم يرد في القرآن الكريم . وما ورد في قوله تعالى:((....**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**....))[125] . فقد وردت بالمعنى اللغوي العام لمنهج الحياة [126] بنظمها اي بمفهوم المذهبية ومن هنا اقتبس العرب المنهج والمنهجية ولم تكن الكلمة غربية او عربية وقفت المعجمات العربية على صلة رابطة بينهما[127] فذلك لتعدد استعمالات الكلمة في اللغة العربية ونقلها من الحقيقة اللغوية العامة الى الحقيقة الاصطلاحية الخاصة ، اما مادة –علم– التي تقترن بمنهج البحث فقد رددها القرآن الكريم اثنين وتسعين وسبعمائة مرة))[128].

وهذه الإشارة تغني عن القول بأن للعرب في حياتهم وعلومهم مناهج ثابتة ساروا عليها . وإن اختلطت بعض الحقائق بالأوهام في بعضها فذلك من ديدن اختلاف العصر وتطور العلوم ، وأنماط الثقافة فيه ، أو من المؤثرات على المنهج التي قلما يستطيع أحد أن يتخلص منها .

وأخيرا فإن للعرب مناهج علمية في بحوثها بدأت حيث بدأ القرآن يتنزل عليهم ومناهج حياتية قبل ذلك ومن التجني على الحقيقة نفي المنهج العلمي عن العرب والمسلمين وهم مصدرها الأصيل.

الخاتمة :

من خلال بحثي هذا استخلصت مدى اهتمام المؤرخين المسلمين بالتاريخ وحثهم عليه وإيمانهم بقيمته وفضله ومعرفتهم بمكامن العبرة والموعظة منه ، فهو ليس تسلية وترويحاً للخاطر بقدر ما هو عِظة وعبره يتعلم منها الحاكم والعالم والطالب والناس جميعهم وهو ذاكرة الامة وسجلها الحافل بانتصاراتها وانتكاساتها.

وكانت المرحلة الأولى في نشأة التاريخ محلية بالدرجة الأولى ومحدودة تقريباً في نطاقها وباطراد اثر المبادئ والأفكار الإسلامية وتغلغلها في المجتمع على حساب الآراء القبلية والاجتماعية توضح حصول تطورات ثقافية جديدة ، عندئذٍ بدأ نوع من الجمع المنظم للأخبار والروايات التاريخية (وكذلك الحديث) من الأمصار المختلفة والاتجاه نحو كتابة تواريخ عامة بعضها ينطوي على نظرة عالمية للتاريخ قبل الإسلام يتخللها عنصر الوقت .

وتعتبر القرون الاسلامية الاولى فترة تكوين علم التاريخ ، فيها وضعت خطط كتابة التاريخ واساليبها ، كما شهدت الفترة التالية عناصر ثقافية اخرى مثل الجغرافية والفلسفة والفلك التي تؤثر على كتابة التاريخ ، مع استعارة التاريخ الأسس العلمية الفلسفية (كالمنهج والفكرة والقضية) ، حيث يصبح اكثر فائدة وعلمية ، ولقد استحدثت حديثاً حقل مهم جداً من حقول التاريخ وهو فلسفة التاريخ وبواسطته دخل التاريخ الى ميادين العلم ، كما استنتجت ان علوم التاريخ عند العرب المسلمين قد اتسمت بالموضوعية المنهجية في بحوثهم ، فقد كانوا يتحرون عن مدى صحة الرواية بالتنقيب الميداني عن مكان الحدث واحوال الرواة ، وتلك أسس علمية رصينة لموضوع المنهج العلمية الذي بدأ مع نزول القرآن الكريم الذي أكد على الالتزام الموضوعي والحياد والدقة متخذاً العقل اساساً له ونهاه عن التقليد الأعمى ، فجعل الاسلام العلم مناراً للعقل وسلماً يرتقي اليه ، فقد وضع للمنهج اساساً لكافة العلوم واهدافاً وغايات في مقدمتها الاخلاص لله والدين .

وبالرغم من التحدي الأجنبي الافرنجي والمغولي في القرون المتأخرة للهجرة ، فهناك نوع من اليقضة السياسية والحضارية للمؤلفات التاريخية المتميزة في الموضوع والمنهج والاسلوب واكمال ما كتبه المؤرخون السابقون ، اشتملت كافة الجوانب

واصبحت تراثاً حضارياً يمليء صفحات التاريخ بحيث اتسع نطاق التاريخ الى ما يمكن ان نسميه التاريخ الحضاري زمن هذا وذاك .

وبذلك نرى ان عالم التاريخ في كل العصور وثيق الارتباط بالتطور العام للحركة الفكرية الاسلامية .

الهوامـــش:

(1) فرانز روزنثال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة:احمد العلي ، مراجعة محمد توفيق حسين ، نشر مكتبة المثنى (بغداد1963) ، ص41 .

(2) عبد الله فياض ، التاريخ فكره ومنهجه ، مطبعة اسعد ،(بغداد،1972)، ص17 .

(3) سهيل زكار ، التاريخ عند العرب ، البحث عن مدرسة عربية لتحليل التاريخ ، مقال منشور في مجلة قضايا عربية ، العدد2 لسنة1983 ،ص6 .

(4) طه باقر ، التدوين التاريخي (بدايات واسهام تراثنا الحضاري في تطويره) ، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد31 ،لسنة1980م،ج1،ص22.

(5) سهيل زكار ، التاريخ عند العرب ، والبحث عن مدرسة عربية لتحليل التاريخ ، ص36 .

(6) نبيلة ابراهيم سالم ، السيرة النبوية بين التاريخ والخيال الشعبي ، مقالة منشورة في مجلة عالم الفكر ، العدد4 ، المجلد12 ،ص330 .

(7) سهيل زكار ، المصدر السابق ،ص8 .

(8) خليل السامرائي ، دراسات في تاريخ الفكر العربي (الموصل ، 1983) ،ص206 .

(9) ابراهيم سلمان الكروي ، عبد التواب شرف الدين ، الحضارة العربية الاسلامية ، منشورات ذات السلاسل، (الكويت ، 1987) /ص272؛ علي أدهم بعض مؤرخي الاسلام ، (بيروت1974م) ،ص10 ؛ شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، دار العلم للملايين ، (بيروت،1979) ،ج1 ،ص81 .

(10) نبيلة ، المصدر السابق ، ص330.

(11) حيدر حسن الكليدار،المعرفة التاريخية عند الامام جعفر الصادق ، اطروحة دكتوراه ، جامعة الكوفة لسنة 1997 ،ص132.

(12) السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، (الاسكندرية ،1967م) ، ص53.

(13) المشهداني ، محمد جاسم حمادي ، الفكر التاريخي ، بحث منشور في كتاب (حضارة العراق) ، ج8 ، ص157.

(14) علي ادهم ، بعض مؤرخي الاسلام ، (بيروت،1974) ،ص14 .

(15) مرغولبوت ،دراسات عن المؤرخين العرب ، ترجمة حسين نصار ، (بيروت،لات) ، ص47 ..

(16) جميل صليبا ، المنطق ، منشورات عويدات ، (بيروت ،1967) ،ص413 .

(17) ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت267هـ)، الامامة والسياسة ،ط2 ،مطبعة مصطفى البابا الحلبي واولاده ، (مصر،1957م) ،ص21؛ عبد الحميد الجندي ، ابن قتيبة، سلسلة اعلام العرب (القاهرة، لات) ،ص56 .

[18] عبد العزيز الدوري ، نشأة علم التاريخ عند العرب ، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت ،2007) ، ص36 .

[19] الجعيفري ، ياسين ابراهيم ، اليعقوبي المؤرخ والجغرافي ، دار الحرية(بغداد،1980م) ، ص57 .

[20] عبد العزيز الدوري ، نشأة علم التاريخ ،ص22 .

[21] الطبري ، محمد بن جرير (ت311هـ) ، تاريخ الرسلوالملوك، مطبعة الاستقامة (القاهرة،1939م) ،ج1، ص18.

[22] المصدر نفسه ،ج1 ، ص12 .

[23] ابو الحسن علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، منشورات دار الاندلس ، ط4 ، (بيروت،1981م) ،ج1 ،ص18 .

[24]اليوزبكي ، توفيق سلطان ، منهج البحث التأريخي عند البيروني ، بحث منشور في مجلة جامعة الموصل، العدد الثاني ،لسنة1979 ،ص75.

[25] محمود اسماعيل ، قضايا في التاريخ الاسلامي ، دار العودة ، (بيروت ،1974) ، ص101

[26] الطرطوش ، سراج الملوك ، مطبعة دار الشعب ، (القاهرة،1969) ،ج3 ،ص203.

[27] الحكيم ، حسن عيسى علي ، ابن الجوزي ، دار الشؤون الثقافية العامة ،(بغداد،1988م)، ص77

[28] ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، (بيروت ،1965م) ،ج1 ،ص15؛ العوض، عبد اللطيف محمد، مفهوم التاريخ عند علماء المسلمين ، مجلة الوعي الاسلامي، لسنة1974 ،ص22.

[29] مقدمة ابن خلدون،ط1،(بيروت،1978م)، ص9.

[30] المصدر نفسه ،ص17 .

[31] الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ،مطبعة الترقي ، (دمشق،1349هـ) ، ص78.

[32] المصدر نفسه ، ص35.

[33] المصدر نفسه ،ص52 .

[34] العوضي ، عبد اللطيف محمد صالح ، مفهوم التاريخ عند علماء المسلمين ،ص42 .

[35] فرانز روزنثال ، علم التاريخ عند المسلمين ،ص126 .

[36] البصير ، كامل حسن ، القرآن الكريم ومنهج البحث العلمي في التراث العربي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد 33، ج4 ، ص52و53 .

[37] الطاهر ، علي جواد ، منهج البحث الأدبي ، مطبعة العاني ، (بغداد،1970م) ،ص18.

[38] النجدي، احمد جاسم ، منهج البحث الأدبي عنمد العرب ، ص5 .

[39] فون كريمر ، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ، ص16 .

[40] البصير ، المصدر السابق ،ص90.

[41]جواد علي ، البحث العلمي عند العرب ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج7 ، لسنة 1960 ،ص127 .

[42] عرفان عبد الحميد ، الامام الغزالي دراسة في المنهج، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد33، لسنة 1981م ،ج3 ،ص586 .

[43] ياسين خليل ، الموضوعية ووحدة الحقيقة ،ص119.

[44] الراوي ، عبد الستار عز الدين ، فلسفة العقل ،ص7 .

(45) محمد عمارة ، الاسلام وقضايا العصر ،ط1 ، دار الوحدة ، (بيروت،لات) ،ص148.

(46) المصدر نفسه،ص49 .

(47) الآلوسي ، نوري ، البحث الأدبي ومنهجه ، ص10 .

(48) عبد اللطيف محمد العبد ، مناهج البحث العلمي ، ص61 .

(49) روزنثال ، علم التاريخ عند المسلمين،ص126 .

(50) بشار عواد معروف ، مظاهر وتأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين ، مجلة الأقلام ، لسنة 1965م ، ص22.

(51) هـ.أ.ر. حبيب ، الاتجاهات الحديثة في الاسلام ، ترجمة جماعة من الاساتذة ،ط1 ، المكتب التجاري للطباعة ، (بيروت،1961م) ، ص8 .

(52) الراوي ، فلسفة العقل ، ص9 .

(53) الطباطبائي، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ط1 (بيروت 1997) ،ج4 ،ص18.

(54) سورة الزمر ، آية9 .

(55) سورة المجادلة ، آية11.

(56) سورة الحشر ، آية 21

(57) سورة النحل ، آية22 .

(58) الطباطبائي ، الميزان ، مج2 ، ص247 .

(59) الرازي ، فخر الدين (ت606هـ)، التفسير الكبير او مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، (بيروت2004م) ج11 ،ص92 .

(60) سورة يونس ، آية36 .

(61) سورة الحجرات ، آية12

(62) سورة النجم، آية28

(63) محمد عزة دروه :التفسير الحديث : دار إحياء الكتب العربية ، 1962: ج1،ص 222.

(64) سورة البقرة ، آية111

(65) سورة البقرة ، آية 23.

(66) سورة هود ، آية 23.

(67) الطباطبائي ، الميزان ، مج5 ، ص 255.

(68) سورة المؤمنون ، آية 8

(69) سورة الصافات، الآيات 69 ، 70

(70) سورة الأنبياء ، الآيات 53 ، 54

(71) سورة طه، آية 54

(72) سورة الأنبياء : من الآية 62إلى الآية 67.

(73) سورة الحجرات ، آية6.

(74) الطباطبائي ، الميزان :مج 2 : ص249.

(75) سورة النجم ، آية23

(76) سورة القمر ، آية3

(77) سورة الحج ، آية3

(78) سورة الاسراء ، آية88

(79) سورة هود ، آية 13

(80) الرازي : مفاتيح الغيب :مج 17 ، ص195.

(81) سورة الإسراء ، آية 36

(82) سورة ال عمران ، آية65

(83) سورة ال عمران ، آية 66

(84) سورة ال عمران ، آية71

(85) سورة الحج ، آية 8

(86) سورة الإسراء ، الآيات90, 91, 92, 93

(87) سورة الزخرف ، ألاية 53

(88) د.كامل حسن البصير ، القران الكريم ومنهج البحث العلمي ، ص 74.

(89) سورة العنكبوت آية68 .

(90) سورة هود ، آية 19

(91) الرازي : مفاتيح الغيب :مج17 ، ص204.

(92) سورة يونس ، آية 48 ، 49 .

(93) سورة الاسراء ، آية85

(94) سورة الاحزاب ، آية63

(95) سورة يونس ، آية94

(96) الرازي : مفاتيح الغيب :مجلد 17 ، ص160.

(97) الرازي : مفاتيح الغيب :مجلد 17 ، ص161.

(98) سورة المـــــائدة ، آية116.

(99) سورة هود ، آية 72.

(100) سورة مريم ، الآيات 7 ، 8 ,9

(101) سورة مريم ، آية20.

(102) الطباطبائي: الميزان :ج1 ،ص74.

(103) سورة البقرة، آية260 .

(104) الطباطبائي : الميزان :ج2،ص 367.

(105) **الاستقراء:** ((استدلال يبدأ بعدد معين من القضايا الجزئية المتعلقة ببعض الوقائع او الافـــراد لينتهـــي الى قضية كلية بكل الوقائع او الافراد من جنس معين)) ينظر : د.جلال محمد موسى : منهج البحـــث العلمي :ص35 .

(106) سورة القيامة ، الآيات 37 ، 38 ، 39 ، 40

(107) سورة المؤمنون : من الآية 12 إلى 16.

(108) سورة السجدة ، آية10.

(109) سورة الإسراء ، آية49.

(110) سورة ق ، آية 3 .

(111) سورة الصافات ، آية16 ، 17.

(112) سورة فاطر : 9

(113) سورة يس ، الآيات79 ، 80 ، 81.

(114) سورة الاسراء ، آية51.

(115) **الاســـتدلال:** ((عملية منطقيه ننقل فيها من قضايا منظور اليها في ذاتها بصرف النظر عن صدقها او كذبها الى قضايا اخرى ناتجة عنها بالضرورة ووفقا لقواعد منطقية صرفة)) ، ينظـــــر: . جلال محمد موسى ، منهج البحث العلمي : 34 .

(116) سورة يس، آية31.

(117) سورة يس : الآيات من 32 إلـــى 44.

(118) سورة الحج ، آية4-6.

(119) كامل حسن البصير : القران الكريم ومنهج البحث العلمي في التراث العربي : 73

(120) الطبطبائي ، الميزان :مج5 ،ص271.

(121) أ.ب. بفردج ، فن البحث العلمي ، ترجمة زكريا فهمي ، مراجعة: احمد مصطفى احمد، ط5 ، طبع دار اقرأ ، (بيروت،1986م) ، ص137 .

(122) المصدر نفســـــــه :ص 138 ، 139 .

(123) المصدر نفســـــــه :ص140.

(124) كامل حسن البصير : القران الكريم ومنهج البحث العلمي في التراث العربي : 58 .

(125) سورة المائدة ، آية48.

(126) الزمخشري ، ابي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد (ت538هـــ) ، تفسير الكشاف ، ط1 ،ص618 .

(127) علي جواد طاهر ، منهج البحث الأدبي ،ص10 .

(128) كامل حسن البصير ، القرآن الكريم ومنهج البحث العلمي ، ص62 .

المصـــــــادر

المصادر الأولية :

1. **القرآن الكريم .**
2. ابن الأثير ، عز الدين ابو علي بن احمد (ت630هـــ) ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، (بيروت ،1965) .
3. ابن خلدون ، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (ت808هـــ) ، المقدمة ، ط1، (بيروت ، 1978) .

4. الرازي ، فخر الدين ابو عبد الله محمد بن عمر (ت606هـ) ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، مجلد17 ، نشر دار الكتب العلمية (بيروت ، 2004) .
5. الزمخشري ، جار الله ابو القاسم محمود بن عمر (ت538هـ) ، تفسير الكشاف .
6. السخاوي ، شمس الدين بن محمد بن عبد الرحمن (ت902هـ) ، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، مطبعة الترقي ، (دمشق، 1349هـ) .
7. الطبري ، محمد بن جرير (ت311هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، مطبعة الاستقامة ، (القاهرة،1939).
8. الطرطوشي ، ابو بكر محمد الوليد (ت520هـ) ، سراج الملوك ، مطبعة دار الشعب ، ()القاهرة،1969.
9. ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت267هـ) ، الامامة والسياسة ، ط2 ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده (مصر،1957).
10. المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين (ت345هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، منشورات دار الاندلس ،ط4 ، (بيروت ،1981).
11. الواقدي ، ابو عبد الله محمد بن عمرو ، (ت207هـ) ، كتاب المغازي ، حققه مارسدن جونسون وطبع في دار المعارف ، (مصر ، 1965) .

المراجع الحديثة :

1. الآلوسي ، نوري ، البحث الأدبي ومنهجه .
2. ابراهيم سلمان الكروي ، عبد التواب شرف الدين ، الحضارة العربية الاسلامية ، دار السلاسل ، (الكويت ،1987) .
3. البصير ، كامل حسن ، القرآن الكريم ومنهج البحث العلمي في التراث العربي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد33 .
4. الجعيفري، ياسين ابراهيم ، اليعقوبي المؤرخ والجغرافي ، دار الحرية، (بغداد ، 1980).
5. الجندي ، عبد الحميد ، ابن قتيبة ، سلسلة اعلام العرب ، (القاهرة ، لا.ت).
6. الحكيم ، حسن عيسى ، ابن الجوزي ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد،1988) .
7. الدوري ، عبد العزيز ، نشأة علم التاريخ عند العرب ، مركز دراسات الوحدة العربية ، (بيروت ،2007) .
8. الراوي ، عبد الستار عز الدين ، فلسفة العقل .
9. السامرائي ، خليل ، دراسات في تاريخ الفكر العربي ، (الموصل،1983).
10. السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، (الاسكندرية ، 1967) .

11. الصعيدي ، عبد المتعال ، حرية الفكر في الاسلام .
12. الطاهر ، علي جواد ، منهج البحث الأدبي ، مطبعة العاني ، (بغداد،1970) .
13. الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة الاعلمي، ط1 ، (بيروت،1997) .
14. العوضي ، عبد اللطيف محمد صالح ، مفهوم التاريخ عند علماء المسلمين، مجلة الوعي الاسلامي ، العدد119 ، لسنة 1974 .
15. الكليدار ، حيدر حسن ، المعرفة التاريخية عند الامام جعفر الصادق ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، لعام1997.
16. المشهداني ، محمد جاسم ، الفكر التاريخي ، بحث منشور في كتاب حضارة العراق .
17. النجدي ، احمد جاسم ، منهج البحث الأدبي عند العرب .
18. اليوزبكي ، توفيق سلطان ، منهج البحث التاريخي عند البيروني ، بحث منشور ، مجلة جامعة الموصل ، العدد الثاني ، لسنة1979 .
19. بشار عواد معروف ، مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين ، مجلة الاقلام ، ح5 ، لسنة 1965 .
20. جلال محمد موسى ، منهج البحث العلمي .
21. جميل صليبا ، المنطق ، منشورات عويدات ، (بيروت،1967) .
22. جواد علي ، البحث العلمي عند العرب ، مجلة المجمع العلمي العراقي لسنة1960 .
23. روزنثال ، فرانز ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة احمد العلي ، مراجعة محمد توفيق حسين ، نشر مكتبة المثنى ، (بغداد،1963) .
24. سهيل زكار ، التاريخ عند العرب ، البحث عن مدرسة عربية لتحليل التاريخ ، مقال منشور في مجلة قضايا عربية ، العدد2 ، لسنة 1983 .
25. شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، ط2 ، دار العلم للملايين ، (بيروت،1979) .
26. طه باقر ، التدوين التاريخي ، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج/1 ، مج31،لسنة 1980.
27. عبد اللطيف محمد العبد، مناهج البحث العلمي .
28. عبد الله فياض ، التاريخ فكرةً ومنهجاً ، مطبعة اسعد ، (بغداد،1972).
29. عرفان عبد المجيد ، الامام الغزالي داسة في المنهج ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، لسنة1981 .

30. علي أدهم ، بعض مؤرخي الاسلام ، (بيروت،1974) .
31. فون كريمر ، مناهج العلماء والمسلمين في البحث العلمي .
32. محمد عزه دوره ، التفسير الحديث ، دار احياء الكتب العربية ، ط1 ، لسنة 1962 .
33. محمد عمارة ، الاسلام وقضايا العصر ، ط1 ، دار الوحدة (بيروت، لا.ت).
34. محمود اسماعيل ، قضايا في التاريخ الاسلامي ، دار العودة ، (بيروت،1974) .
35. مرغولبوت ، دراسات عن مؤرخي العرب ، ترجمة حسين نصار ، (بيروت ،لا.ت).
36. نبيلة ابراهيم سالم ، السيرة النبوية بين التاريخ والخيال الشعبي ، مقال منشور في مجلة عالم الفكر ، العدد4 ، مج12 .
37. هـــ.أ.ر.حبيب ، الاتجاهات الحديثة في الاسلام ، تعريب جماعة من الاساتذة ،ط1 ، المكتب التجاري للطابعة ، (بيروت،1961) .
38. و.أ.ب. بفردج ، فن البحث العلمي ، مراجعة احمد مصطفى احمد ، ط5 ، دار اقرأ ، (بيروت، 1986) .
39. ياسين خليل ، الموضوعية ووحدة الحقيقة .